وإنجيل متى يقول : إن آباء المسيح سلاطين مشهورون .

وفى إنجيل لوقا أن بين داود والمسيح واحد وأربعين جيلا .

وفى إنجيل متى إن بين داود والمسيح ستة عشر جيلا . (١)

وأمام هذا الاختلاف الشديد بين الأناجيل فى نسب المسيح يقف الإنسان حائرا .. فلا يدرى كيف يوفق بين هذا التناقض العجيب فى كتاب يُسميه أصحابه مقدسا ويؤمنون به .

ولا ندرى من أين اكتسبت هذه القداسة .. وهذا التناقض الواضح من أوضح الدلائل وأصدق البراهين على أن هذا كله تحريف ولا أساس له .

ولا أدل على ذلك مما جاء فى كتبهم .

فى الفقرة السابعة عشر من الإصحاح الأول من إنجيل متى ما نصه :

«فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلا ، ومن داود إلى سبى بابل أربعة عشر جيلا ، ومن سبى بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلا»

فنسب المسيح من خلال هذا النص يشتمل على ثلاثة مراحل كل منها مشتمل على أربعة عشر جيلا وهذا غلط صريح .

لقد وقع التحريف بكل صوره – التبديل والزيادة والنقصان – فى هذه الكتب. (٢)

---

(١) النبوة والأنبياء . محمد على الصابونى ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

(٢) يراجع هذا بالتفصيل فى كتاب «إظهار الحق » للشيخ رحمة الله الهندى من ص ١٠٦ – ٢١٢

ومن ثم فإن ما تثبته عن المسيح عليه السلام كله محض افتراء وبهتان وصدق الله العظيم « من الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون. يا أهل الكتاب قد جائكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جائكم من الله نور وكتاب مبين» (١)

ولا أريد أن استقصى هذه الأكاذيب .. ولكن حسبى أن ألج فيما قصدت من بيان دلائل التوحيد فى قصة عبد الله ورسوله وكلمته سيدنا عيسى - عليه السلام -

مهتديا فى ذلك بنور القرآن الهادى الذى لا يخبو أبدا فهو الحق الذى لا مرية فيه «ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين»

مريم الطاهرة ومعجزة الميلاد

السيدة الطاهرة من نسل داود عليه السلام ، وكان أبوها عمران صاحب صلاة بنى إسرائيل فى زمانه ، وكانت أمها من العابدات ، وكان زكريا نبى ذلك الزمان زوج أخت مريم .. وقيل زوج خالتها .

وكانت أم مريم - كما يذكر ابن اسحاق وغيره - لا تحمل .. فنذرت إن حملت لتجعلن ولدها محرراً أى حبيسا فى بيت المقدس .. فحملت بمريم عليها السلام « فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنثى والله أعلم

(١) الآيتان ١٤ ، ١٥ سورة المائدة

بما وضعت وليس الذكر كالأنثى »(١)

أى فى خدمة بيت المقدس ، وكانوا فى ذلك الزمان ينذرون لبيت المقدس خداما من أولادهم .

وقولها كما ذكر القرآن الكريم « وإنى سميتها مريم .....

وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم»(٢) قد استجيب لها فى هذا كما تُقبل منها نذرها .

روى الإمام أحمد عن أبى هريرة أن البنى – صلى الله عليه وسلم – قال " ما من مولود إلا والشيطان يمسه حين يُولد فيستهل صارخا من مس الشيطان إلا مريم وابنها » ثم يقول أبو هريرة : واقرءوا إن شئتم «وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم»

وعن أبى هريرة عن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال «كل مولود من بنى آدم يمسه الشيطان بإصبعه إلا مريم بنت عمران وابنها عيسى»(٣) ونقف أمام هذا الحديث المعجز من ناحيتين .

الأولى : تمنى أم مريم الولد بعد طول اليأس فقد كانت لا تحمل ويتحقق لها ما تحب – وهذا أمر خارق للعادة .

الثانية : استجابة دعائها « وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم» .

(١) الايه ٣٦ سورة آل عمران

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير ٢ / ٦٤٥ ، ٦٤٦

(٣) المسند للإمام أحمد ٢ / ٢٨٨

ويتحقق هذا أيضا كما أخبر بذلك رسول الله – صلى الله عليه وسلم فكيف تحقق لها الأمران وهما خارقان للعادة ؟

لا مفر من الاذعان بقدرة الله الذى لا يعجزه شئ فى الأرض ولا فى السماء وهذا من أصدق الدلائل وأقواها على وحدانية الله . الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى .

كفالة زكريا لمريم :

قال الله تعالى « فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفَّلها زكريا » ذكر المفسرون أن أمها حين وضعتها لفتها فى خروقها ثم خرجت بها إلى المسجد فسلمتها إلى العباد الذين هم مقيمون به ، .. ثم تنازعوا أيهم يكفلها ، وكان زكريا بينهم فى ذلك الزمان ، وقد أراد أن يستبد بها – أى يستأثر بكفالتها – من أجل زوجته أختها أو خالتها – على القولين – فشاحوه فى ذلك ، وطلبوا أن يقترع معهم فساعدته المقادير ، فخرجت قرعته غالبة لهم وذلك أن الخالة بمنزلة الأم .(١)

وهذا قول الحق سبحانه وتعالى لنبيه – صلى الله عليه وسلم – « ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يُلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون» (٢)

وظلت مريم فى كفالة زكريا – عليه السلام – وقد اتخذ لها مكانا شريفا

---

(١) قصص الأنبياء ٢ / ٦٤٨ وانظر تفسير ابن كثير والطبرى

(٢) الآية ٤٤ سورة آل عمران

فى المسجد لا يدخله سواها ، فكانت تعبد الله فيه وتقوم بما يجب عليها من سدانة البيت وخدمته ، وتقوم بالعبادة ، حتى صار يُضرب ها المثل فى بنى إسرائيل فى الصلاح والتقى ، واشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال الكريمة والصفات الشريفة .

وكان إذا دخل عليها زكريا – عليه السلام – يجد أمراً عجيبا ، كان يجد طعاما وفاكهة ليس لها وجود فى ذلك الوقت .

فاكهة الصيف فى الشتاء .. وفاكهة الشتاء فى الصيف .

فيسألها فى دهشة واستغراب « أنى لكِ هذا » ؟ (١)

يصور القرآن العظيم هذا الموقف الخارق المعجز فى قول الحق سبحانه «كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لكِ هذا . قالت هو من عند الله . إن الله يرزق من يشاء بغير حساب»(٢)

إنه الإعجاز الإلهى – الذى يأخذ بيد الإنسان إلى طريق الحق .

فمن ذا الذى هيأ لمريم وهى فى معبدها الرزق الذى لا ينقطع ؟ وفى غير موعده !! مما جعل زكريا – عليه السلام – يندهش لهذا الأمر ويسأل متعجبا أنى لكِ هذا ؟؟

مريم والاصطفاء :

«إن مريم خير نساء العالمين ، لأنها فريدة وحدها بين كل النساء ، فقد

---

(١) النبوة والأنبياء ١٨٩

(٢) الآية ٣٧ سورة آل عمران

أُمتُحنت بما لم تُمتحن به أنثى وهذه أول امرأة فى تاريخ الأديان تقوم بما لا يقدر عليه سوى أولى الفضل من الرجال .. وهذا توجيه من رب العزة سبحانه حتى تكون أماً لرسول كريم من أولى العزم ، تحمَّل الكثير منذ ساعة مولده فى بنى إسرائيل إلى أن ترك دنيا الناس ، ورفعه الله إليه مكانا عليا » (١)

وهذا الاصطفاء لمريم ذكره الحق سبحانه فى قوله « إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » (٢)

لقد نشأت على الطهر والعفاف .. وعاشت فى جوار بيت المقدس مكلوءة بعناية الله ورعايته ..

وجاء التصريح بخيريتها على نساء العالمين فى صحيح الحديث .. وحسبى الإشارة إلى بعضها .

فى صحيح البخارى عن على بن أبى طالب – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – «خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد» (٣)

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – «حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وآسية إمرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد» (٤)

---

(١) د . طه وادى «أولو العزم من الرسل» ص ١٦٥

(٢) الآية ٤٢ سورة آل عمران

(٣) صحيح البخارى ٢ / ١٧٧

(٤) مسند الإمام أحمد ٣ / ١٣٥ وسنن الترمذى ك المناقب ٣٨٧٨

وفى الصحيحين عن معاوية بن قُرة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله علية وسلم – « كَمُل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث : مريم بنت عمران وآسيةامرأة فرعون وخديجة بنت خويلد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» (١)

البشارة بعيسى - عليه السلام -

«اعتكفت مريم كعادتها تصلى لله وتعبده ، فاضطربت نفسها فجأة ، وداخلتها رهبة لم تعهدها من قبل ، وظهر أمامها ملك من السماء ، وقد تمثل لها بشرا سويا لتأنس به ولا تنفر منه ، وحاولت الهروب واستعاذت بالله ، إذ ظنته معتديا أثيما .. وهى التقية المؤمنة العفيفة الطاهرة ، ولكن أعاد إليها طمأنينتها وسكّن روعها ثم أخذ يتحدث إليها قائلا « إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا»

فغشيتها سحابة من الحزن ، وطافت بها موجه من الأسى ، ولكن هول الموقف وشدته لم يعقد لسانها ، بل استجمعت شارد قوتها وخرجت من صمتها وحاجّته قائلة :

« أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا»

جلست مريم حائرة تفكر فيما سمعته وأوجست فى نفسها خيفة ، ولا شك أنها تخيلت ما سيقوله الناس عن عذراء ، تحمل وتلد من غير أن يكون لها بعل ، وقد أفزعتها هذه الأفكار ، وصيرتها قلقة مضطربة ، إذ قد بدت

(١) رواه البخارى ٢ / ١٧١ ومسلم ٢ / ٢٧٠

تفطن إلى الريبة التى سوف تخامر قلوب الناس ، والشكوك التى ستخالج نفوسهم .

فأصبحت تحب العزلة وتميل إلى الانفراد ، واستحوذ عليها الحزن ، وغلب عليها الخوف ، وصارت دائمة التفكير فى ذلك السر الرهيب الذى أُغلق عليه داخل أحشائها » (١)

لقد حدث لمريم ما حدث وهى وحيدة فريدة .. وقد قابلها الملك فجأة على صورة بشر وقد خافته واستعاذت بالله منه ، فطمأنها بأنه رسول الله ، وبشرها بعيسى عليه السلام الغلام الزكى ..

ومن حكمة الله سبحانه أن يأتيها الملك فى صورة إنسان وليس على صورته الملائكية .

والسر فى ذلك كما ذكر أبو حيان : «إنما مثل لها الملك فى صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ، ولا تنفر عنه ، ولو بدا لها فى الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه .. ودلَّ على عفافها وروعتها أنها تعوذت من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن ، وكانت تَمثُّله على تلك الصفة ابتلاء لها وتبرؤاً لعفتها » (٢)

ومن هنا أنست مريم بعد الخوف واستبشرت ، ولكنها تعجبت حين بشرها بالغلام ، وهى بكر لم تتزوج فضلا عن لم يمسها رجل ، ولم تقترف إثما

(١) محمد جاد المولى . قصص القرآن ٢١١ ، ٢١٢

(٢) أبو حيان . البحر المحيط ٦ / ١٨٠

إنما قدرة الله أحكم الحاكمين ومشيئته .

ويصور القرآن الكريم هذا الموقف في قول الحق سبحانه «واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا . فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا. قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا. قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا. قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا» (١)

فقوله سبحانه «ولنجعله آية للناس» أى ولنجعل خَلْقه والحالة هذه دليلا على كمال قدرتنا على أنواع الخلق ، فإنه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى ، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر ، وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى . «ورحمة منا» أى نرحم به العباد بأن يدعوهم إلى الله فى صغره وكبره ، فى طفولته وكهولته ، بأن يفردوا الله بالعبادة وحده لا شريك له ، وينزهوه عن اتخاذ الصاحبة والأولاد والشركاء والنظراء والأصفداد والأنداد .

وقوله «وكان أمرا مقضيا» يحتمل أن يكون هذا من تمام كلام جبريل معها ، يعنى أن هذا أمر قدقضاه الله وحتَّمه وقدره وقرره ، وهذا قول محمد ابن اسحاق واختاره ابن جرير .. (٢)

ويحتمل أن يكون قوله «وكان أمرا مقضيا» كناية عن نفخ جبريل فيها كما

(١) الآيات ١٦ - ٢١ سورة مريم

(٢) انظر تفسير الطبرى ١٦ / ٦٢

قال تعالى « ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا »(١)

فذكر غير واحد من السلف أن جبريل نفخ فى جيب درعها فنزلت النفخة إلى فرجها فحملت من فورها كما تحمل المرأة عند جماع بعلها ، ومن قال إنه نفخ فى فمها أو أن الذى كان بخاطبها هو الروح الذى ولج فيها من فمها فقوله خلاف ما يُفهم من سياق هذه القصة فى محالها من القرآن فإن هذا السياق يدل على أن الذى أُرسل إليها ملك من الملائكة وهو جبريل عليه السلام ، وأنه إنما نفخ فيها ... كما قال تعالى «فنفخنا فيه من روحنا» فدلَّ على أن النفخة ولجت– أى دخلت – فيه لا فى فمها » (٢) ولما حملت ضاقت به ذرعا ، وعلمت أن كثيرا من الناس سيكون منهم كلام فى حقها ، وذكر غير واحد من السلف – كما يقول ابن كثير .

أنها لما ظهر عليها مخايل الحمل كان أول من فَطِنَ لذلك رجل من عُبَّاد بنى إسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب النجار ، وكان ابن خالها ، فجعل يتعجب من ذلك عجبا شديدا ، وذلك لما يعلم من ديانتها ونزاهتها وعبادتها ، وهو مع ذلك يراها حُبلى وليس لها زوج ، فَعَرَّضَ لها ذات يوم فى الكلام فقال : يا مريم هل يكون زرع من غير بَذْر ؟ قالت : نعم فمن خلق الزرع الأول ؟ ثم قال : فهل يكون ولد من غير ذَكَرٍ ؟ قالت : نعم :

(١) الآية ١٢ سورة التحريم

(٢) قصص الأنبياء ١٢ / ٦٦١ ، ٦٦٢

إن الله خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى ، قال لها : فأخبريني خبرك ، فقالت : إن الله بشرني «بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين» .

روى عن مجاهد قال : قالت مريم :كنتُ إذا خلوتُ حدثني وكلمني ، وإذا كنتُ بين الناس سبّح في بطني» (١)

وصدق الله العظيم « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون» (٢)

يقول أبو حيان : «إن العرب تضرب الأمثال لبيان ما خفى معناه ودَقَّ إيضاحه ، ولما خفى سر ولادة عيسى عليه السلام من غير أب لأنه خالف المعروف ، ضرب الله المثل بآدم الذى استقر فى الأذهان وعُلِمَ أنه من غير أب ولا أم كذلك خلق عيسى بلا أب ، ولا بد من مشاركة معنوية بين من ضُرِب به المثل ، وبين من ضُرب له المثل ولو من وجه واحد أو من وجوه ولا يشترط الاشتراك فى سائر الصفات ، والمعنى الذى وقعت فيه المشاركة بين آدم وعيسى كون كل واحد منهما خلق من غير أب »

وقد فصل بعض أهل العلم المشاركة بين آدم وعيسى فى بضعة عشر وصفا . فى التكوين ، وفى الخلق من العناصر التى ركب الله منها الأشياء وفى العبودية . وفى المحنة – عيسى باليهود وآدم بأبليس وفى

(١) المصدر السابق ٢ / ٦٦٣

(٢) الآية ٥٩ سورة آل عمران .

أكلهما الطعام وفى الفقر إلى الله . وفى الصورة وفى العلم حيث قال فى حق آدم «وعلم آدم الأسماء كلها» وفى حق عيسى «ونعلمه الكتاب والحكمة» وفى نفخ الروح فيهما «فنفخت فيه من روحى» «فنفخنا فيه من روحنا» وفى الموت وفى فَقْدِ الأب فهما نظيران فى أن كلا منهما أوجده الله خارجا عما استقر واستمر فى العادة .. من خلق الإنسان متوالدا من ذكر وأنثى .. والوجود من غير أب ولا أم أغرب فى العادة من الوجود من غير أبٍ فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم لمادة شبهته . إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه » (١)

ميلاد المسيح وموقف مريم - عليهما السلام

تمت إرادة الله سبحانه وحملت مريم .. وحين قَرُبَ وقت المخاض والميلاد اعتزلت الناس وذهبت وحدها فى مكان قصى (٢) حتى لا يراها أحد ، وآوت إلى جذع نخلة فى مكان قَفْرٍ لا طعام فيه ولا ماء ، ولكن الله سبحانه لا يتخلى عن عباده المكرمين فجاءها النداء من قبل الخالق القدير أن هُزى جذع النخلة وأنت فى مكانك ، وسوف تتساقط عليك رطبا جنيا (٣) كما أجرى الله سبحانه نبع ماء يسرى بجوارها ، حتى تأكل وتشرب وتطمئن نفسها ، كما طلب منها ألا تكلم أحدا .. وتقول لمن يحاول الكلام معها « إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا »

---

(١) أنظر البحر المحيط لأبى حيان ٢ / ٤٧٧ ، ٤٧٨ وكذا روح المعانى للآلوسى ٣ / ١٩٢

(٢) بعيد

(٣) بلحا حلوا

فبعض الصوم يتمثل فى السكوت عن محادثة البشر .. والاشتغال بذكر الله وتدبر آيات قدرته .

وقد كانت تلك المعجزة – جريان الماء وإسقاط الرطب – أقوى دليل على براءتها وأسطع برهان على طُهرها ، وقد كانت آية بينة ترد بها قذف القاذفين ، وعيب العائبين ، وتدفع بها التهمة ، وتقيم بها الحجة على من يحاجونها فى هذا المكان الذى أجاءها المخاض إليه ، وهى تريد الجواب الذى تجيب به لُوّامها والعائبين عليها ، والمعيرين لها «وهم الذين سيستقبلونها بألسنة حداد ، لذلك لم تتبدد مخاوفها ، ولم تنقشع سحابةُ حزنها .(١)

وأمام هذه الحيرة الشديدة .. فى هذا الموقف العصيب يتوجه القوم بألسنة اللوم « يا أخت هارون ما كان أبوك إمرأ سوء وما كانت أمك بغيا فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا»

وهنا تتحقق براءة الطاهرة العفيفة ويتحقق الإعجاز .. وذلك من أقوى الدلائل وأنصع البراهين على واحدانية الله سبحانه وقدرته . لقد أنطق الله لسان الصغير .. وأطلق الصوت .. وحرك الشفاه التى لم تهتد إلى موضع الأثداء .. التفت الغلام موجها الخطاب إلى القوم فى وضوح وبيان «قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا . وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا والسلام على يوم وُلدتُ ويوم أموت ويوم أُبعث حيا»

(١)قصص القرآن ٢١٤ إولو العزم من الرسل ص ١٦٦

«وهذا أول كلام تفوه به عيسى بن مريم – عليه السلام – فكان أول ما تكلم به «إنى عبد الله » اعترف لربه تعالى بالعبودية ، وأن الله ربه ، فنزه جنا الله عن قول الظالمين فى زعمهم أنه ابن الله ، بل هو عبده ورسوله وابن أمته ثم برأ أمه مما نسبها إليه الجاهلون وقذفوها به ورموها بسببه بقوله «آتانى الكتاب وجعلنى نبيا» فإن الله لا يعطى النبوة من هو كما زعموا لعنهم الله وقبحهم . كما قال تعالى «وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما» (١)

وذلك أن طائفة من اليهود – لعنهم الله – قالوا إنها حملت به من زنا فى زمن الحيض ، فبرأها الله من ذلك وأخبر عنها صديقة ، واتخذ ولدها نبيا مرسلا أحد أولى العزم الخمسة » (٢)

فهل هناك دليل بعد هذا يمحق باطلهم .. أو برهان يبين كذبهم..

ألم ينطقه الله بالحكمة ؟ ويعده للنبوة وهو لم يزل فى المهد صبيا، وفى حجر أمه طفلا ؟

قد كان هذا آية على براءتها ، ومعجزة دالة على طهرها . إذ القدرة التى أنطقته بالحكمة فى هذه السن لا تعجز عن خلق مثله من غير أب ، فبكلمة منه سبحانه خلق ، فليكفوا إذن عن لومهم وليتجنبوا الخوض فى عرضها وإشعال الفتنة حولها ..

(وهذه بواكير آيات المسيح – عليه السلام – وسر أسرارالنبوة فيه فصلها

(١) الآية ١٥٦ سورة النساء.

(٢) ابن كثير . قصص الأنبياء ٢ / ٦٦٨

القرآن وبينها .

فبماذا نطق ولمّا يزل حديث عهد بالولادة ؟

نطق بأنه – أولا – عبد الله ، وفى هذا ما يثير الانتباه ، ويشد الرأى إلى عقيدة القوم ، فلم يقل إنى إله أو ابن إله : ولكنه قال : إنى عبد الله .

وهذا ما نطق به الوليد وكان نص القرآن صريحا وأشار مدلوله مصححاً ما شاع خطأ بفضل الوضاعين فى الإنجيل فيما بعد ..

كذلك قال المسيح – عليه السلام – آتانى الكتاب مشيرا إلى الإنجيل فيما بعد وأنه سيكون رسولا نبيا من أولى العزم ، وممن اختصهم الله بالكتاب ، وقال ثالثا «وجعلنى نبيا» وهو عجيب فى مثل سنه .. وقال كذلك «وجعلنى مباركا أينما كنت» وحقا : كان دليل بركة على قومه إذ جعل الله البركة تجرى على يديه أنى سار ، وفى أى مكان حلّ .

فهل كان فى مثل سنه يوحى إليه ؟ أو يعى شيئا من الوصاية حتى يخبر بهذا ؟

لكنه سر النبوة فى بدء العمر ، أخبر به المسيح – عليه السلام – إذ أنطقه الله بهذه الحقائق التى تجلت فيما بعد[٢]

أخذت المعجزات تترى وتتوالى لتؤكد على الملأ الحقيقة الساطعة المتمثلة فى وحدانية الله رب العالمين .

ولعل السر فى ذلك – والله أعلم – أنه – عليه السلام – أرسل إلى بنى

---

(١) حسن إسماعيل ، من أسرار النبوات فى القرآن الكريم ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

إسرائيل وهم – كعادتهم – قساة القلوب مغلقوا الأفئدة .. عندهم قدرة على الجدل والحوار ويصعب – إن لم يستحلْ – أن تحولهم عن رأى أو تثنيهم عن خصومة ، إذ يتوهمون أنهم «شعب الله المختار» لذلك يظنون أنهم يجب أن يُتبعوا ، لا أن يتبعوا هم غيرهم فى أى شأن من شئون الحياة ، وربما كان هذا سببا فى مخالفتهم المسيح وعصيانه ، وإنزال أشد العذاب به وبمن آمن معه » (١)

دعاوى النصارى فى المسيح

بلغ الضلال والإسفاف بالنصارى أبعد مدى .. حين قالوا إن المسيح هو الله أو ابن الله ..

وأن الإله عندهم مكون من ثلاثة أقاليم هى الأب والابن والروح القدس وأن هذه الثلاثة تكون فى مجموعها شيئا واحدا هو الله الذى يدين له الكل . فهو موجود بذاته ناطق بكلمته – أى ابنه – حى بروحه . وكل عنصر من هذه العناصر التى تكوَّن منها الإله يعطيه وصفا معينا . فإذ تجلى بصفته سُمى الأب ، وإذا نطق فهو الابن ، وإذا ظهر كحياة فهو الروح القدس .

فهل هو إله واحد مقسم إلى ثلاثة آلهة أم هو ثلاثة آلهة مستقلة أم هو إله وثلاثة من جهة أخرى ؟؟

يجيب أحدهم على هذا بقوله(٢) « الله واحد وثالوث فهو واحد من جهة وثالوث من جهة أخرى ، فكما أن الإنسان واحدٌ فى مظهره وفى الوقت

(٢) أولو العزم من الرسل ص ١٧٠

(١) عوض سمعان الله بين الفلسفة والمسيحية ص ٩٧

نفسه هو جوهرى مكون من ثلاثة عناصر هى الجسد والنفس والروح ، كذلك الله ، فهو واحد من جهة وجامع أو شامل من جهة أخرى دون أى تعارض أو تناقض فى ذاته ، فالله واحد من جهة الجوهر ، أو الباطن و هو جامع من جهة التعيين أو الظاهرية ، وجوهر الله يُسمى «اللاهوت» أى الله فى جوهره ، وهذا الجوهر نفسه بالنظر إلى تعيينه وظهوره هو «الله» فالله هو اللاهوت معينا ، واللاهوت هو الله جوهرا .

أى أن الله هو اللاهوت ظاهرا ، واللاهوت هو الله مستترا به ، واللاهوت واحد لأن جوهر الله هو عين تعيينه ، وتعنيه هو عين جوهره !

ويستطرد قائلا :

إن الله ليس تعينا واحدا ، بل تعينات فذات الله تعينات ، وكل تعين من هذه التعينات ليس جزءا من ذات الله ، بل هو عين ذاته . أى هو ذات الله نفسها بكل خصائصها وصفاتها الذاتية ، ولذلك يكون كل تعين من هذه التعينات هو الله ، وهذه التعينات تسمى الأقانيم ، فالأقانيم هى تعينات اللاهوت ، أو هم اللاهوت معنيا ،أى اللاهوت معلنا فى ذاته وصفاته.(١)

وهو بهذا يقرر ما يلى .

إن الله رغم إعلانه لنا أنه واحد إلا أنه فى حقيقته وباطنه مكون من ثلاثة أجزاء ، وكل جزء أو تعيين من هذه الأجزاء والتعينات هو إله كامل ، ويقرر أنه بعد فحصه وتشريحه لدواخل الذات الإلهية وبعد كشفه الحجب

(١) المصدر السابق ٩٨ .

والأستار عن مكنونات الله ، تبين له أنه ليس واحداً بل ثلاثة ، والله رغم ظهوره للناس على أنه واحد إلا أنه في حقيقته وداخليته ثلاثة آلهة ، فهو واحد من جهة وثلاثة من جهة أخرى ، واحد في الظاهر وثلاثة في الباطن .

وهذا المنطق يجعلنا نعتقد أن الله يظهر لنا غير ما يبطن ، فهو يظهر للبشر بمظهر لا يعبر عن حقيقته وداخله ، تلك الحقيقة التي تقرر أنه سبحانه مكون من ثلاثة آلهة ، تلك الحقيقة التي استطاع الكاتب – "سمعان" – أن يصل إليها وحده ، والتي لم يتوصل إليها قبله أحد من العالمين ، إلا من ساروا على دربه واتبعوا نهجه من المتفلسفين والمتفيهقين» (١)

لكن !!

لماذا أطلقوا على الله الموجود لفظ الآب ؟ وعلى الله الناطق لفظ الابن ؟ وعلى الله الحي لفظ الروح القدس ؟؟

يجيب أحدهم عن هذا بقوله :

إن الذات والد للنطق فيقال له الآب

والنطق مولود من الذات فيقال له الابن .

والحياة منبعثة من الذات فيقال لهاالروح القدس .

فالله الآب قائم بذاته ، ناطق بخاصية الابن الذي هو النطق ، حي

---

(١) محمد مرجان «الله واحد أم ثالوث» ص ٢٤

بخاصية الحياة التى هى الروح القدس .

والله الابن قائم بخاصية الذات التى هى الآب ، وناطق بخاصيته هو ، حى بخاصية الحياة التى هى الروح القدس .

والله الروح القدس قائم بخاصية الذات التى هى الآب ، ناطق بخاصية النطق الذى هو الابن ، حى بخاصيته هوالتى هى الحياة .(١)

ويرى أحدهم رأيا آخر يختلف تماما عن رأى صاحبه السابق . فيقرر « إن تسمية الثالوث باسم الآب والابن والروح القدس تعتبر أعماقا إلهية وأسراراً سماوية لا يجوز أن نتفلسف فى تفكيكها وتحليلها أو نلحق بها أفكارا من عندنا .. (٢)

وثم اتجاه ثالث يختلف عن السابقين يقرر صاحبه .

أن الأقانيم الثلاثة ليست مجرد أسماء تطلق علي الله ، أو مجرد صفات يُنعت بها ، بل هي ثلاث شخصيات متميزة غير منفصلة متساوية فائقة عن التصور .(٣)

وهكذا نرى الاختلاف واضحا - فلم يتفقوا على إجابة ، بل كل واحد منهم يرى غير ما يراه صاحبه ، ولم يقدم أحدهم جوابا شافيا حاسما يقنع المتسائلين .. عن علة إطلاق لفظ الآب على الله الموجود ، والابن على الله الناطق ، والروح القدس على الله الحى .

---

(١) انظر «الله واحد أم ثالوث» ص ١١

(٢) القس توفيق جيد «سر الأزل» ص ٥٩

(٣) يس منصور «رسالة التثليث» ١٥٦

وهذا الكلام كله تلفيقات فلسفية وأفكار عقيمة قدتستعصى على الأفهام .. .

ويقرر النصارى بأن المسيح يدعى اسمه كلمة الله :

ورد فى انجيل يوحنا ص ١ عدد ١ : (وكان الكلمة الله)

وورد فى رؤيا يوحنا عن المسيح ص ١٩ عدد ١٣ : (يدعى اسمه كلمة الله)

لذلك فهم يقولون : إن المسيح ليس مخلوقا أو ملاكا دون الآب ، ولكنه مساوٍ له فى الجوهر ، والآب معناها الله .

ويرد على ذلك :

إن الكلمة المشار إليها هى كلمة التكون لا كلمة الوحى .

ذلك أنه لما كان أمر الخلق والتكوين وكيفية صدوره عن الله تعالى ، ما يعلو عقول البشر عبَّر عنه كتبة الأسفار بقولهم :

(لأنه قال فكان هو أمر فصار) مزمور ٣٣ عدد ٦

فكلمة قال ، وكلمة أمر ، هى كلمة التكوين ، وهو ما ورد بسفر التكوين (وقال الله ليكن نور فكان نور) ص ١ عدد ٣

فكلمة ليكن هي كلمة التكوين .

وإطلاق عبارة الكلمة على المسيح – عليه السلام – لمريد إيضاحه لكلام الله الذى حرفه قومه من اليهود حتى أخرجوه عن وجهه ، وجعلوا الدين ماديا لا روحانيا . وتوضيح ذلك .

أ – أن هذا من قبيل الوصف فيوصف السلطان العادل بأنه «ظل الله أو نور الله» لعدله وإحسانه .

ب – هذا من قبيل قولهم «فلان لسان الملك – أو كلمة الملك» يريدون بذلك أنه سبب لظهور كلامه إلى الرعية .

فكذلك المسيح – عليه السلام – كان سببا لظهور كلام الله تعالى بسبب ما كان يلقيه من مواعظ وبيانات تزيل الشبهات والتحريفات عنه ، وإبطال التقاليد حتى يرجع بقومه إلى المفاهيم السليمة لكلام الله عز وجل .

جـ – وهناك وجه آخر لإطلاق «كلمة» على المسيح وذلك للإشارة إلى ما جاء بكلام الأنبياء عنه وبشارتهم به .

* في سفر أرميا ص ٣٣ عدد ١٤ – ١٦

«ها أيام تأتي يقول الرب : وأقيم الكلمة الصالحة التى تكلمت بها إلى بيت إسرائيل وإلى بيت يهوذا في تلك الأيام ، وفي ذلك الزمان أنبت لداود غصن البر ، فيجرى عدلا وبرا فى الأرض ، في تلك الأيام يخلص يهوذا ، وتسكن أورشليم آمنة ، وهذا ما نسمي به الربَّ برُّنا»

فإذا كان فى الأسفار القديمة يباح إطلاق لفظ الله على كل من الملاك والقاضى الشرعي والشريف أو القوى .. فهل يسوغ القول أن إطلاق لفظ الله على المسيح يقتضى اتحاده به ومساواته ؟ لو كان الأمر كذلك لكان كل من الملاك والقاضى والشريف والقوى متحدا مع الله ومساويا له ، ولم

يقل أحد بذلك – على الإطلاق – لبطلانه ، لذلك كان القول باتحاد المسيح بالله ومساواته باطل » (١)

ويستدل رجال النصرانية بأن الآب (أى الله) والابن (أى المسيح) واحد فى الجوهر والمجد والمقام بالآتى :

ما ورد فى انجيل يوحنا ص ٢٠ عدد ٣٠ من قول منسوب للمسيح هو (أنا والآب واحد)

وفى إنجيل يوحنا أيضا ص ١٧ عدد ١١ قول منسوب للمسيح

(أيها الآب القدوس احفظهم فى اسمك الذى أعطيتنى ، ليكونوا واحد كما أننا نحن واحد)

والقول المنقول عن المسيح ينقض جزء آخر مكملاً له ولا يتمالمعنى إلا به ، وقوله أن والآب واحد ، يقصد به فى إرادة الخير والهداية لهؤلاء الخراف ... حيث إن المسيح قوى بربه عز وجل وهذا هو المعنى الذى يرمى إليه المسيح فى كلامه المذكور . (٢)

لقد حاول دعاة التثليث ايجاد التبريرات لتلك العقيدة الباطلة فى جملتها وتفصيلاتها بعدة مبررات منها ما ذكره القس بولس إلياس «من الناس من يقولون : لم يا ترى إله واحد فى ثلاثة أقانيم ؟أوليس من الأفضل أن يقال الله واحد . فحسب ؟ ويرد قائلا : لكننا إذا اطلعنا على كنه الله لا

(١) محمد عزت الطهطاوى «النصرانية فى الميزان» ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٢) النصرانية فى الميزان ص ١٦١

يسعنا إلا القول بالتثليث ؟ وكنه الله محبة ، ولا يمكن أن يكون محبة ليكون سعيدا ، فالمحبة هي مصدر سعادة الله والمحبة تفترض شخصين على الأقل يتحابان وتفترض مع ذلك وحدة تامة بينهما بحيث يندفع المحب إلى هبة الذات لمن يحب ، هبة تكون فيها سعادتهما ، فليكون الله سعيدا كان عليه أن يهب ذاته شخصا آخر يجد فيه سعادته ومنتهى رغباته ، ويكون بالتالى صورة ناطقة له ولهذا ولد الله الابن منذ الأزل نتيجة لحبه إياه ووهبه ذاته ووجد فيه سعادته منتهي رغباته وثمرة هذه المحبة المتبادلة بين الآب والابن كانت الروح القدس .

وقس آخر يجارى زميله فى هذا التبرير الباهت ويقرر

أن الوحدانية دون الثالوث تجعل الله فى الأزل بدون موضوع المحبة ، فالواحد من كل وجه لايقدر أن يحب غير نفسه ، وبعبارة أخرى ، بدون الثالوث أو بالأحرى بدون التمييز الأقنومي لا يبقى لله فى أزليته سوى ذاته ليحبها ، وتنزيها لله عن محبة الذات ، وقد وجد الثالوث حتى تتجه محبة الأقنوم الإلهى نحو الأقنوم الآخر » (١)

«سبحان ربك رب العزة عما يصفون»

أسس تأهلية المسيح :

يرى علماء النصارى وقساوستها أن عقيدتهم فى المسيح – عليه السلام – قامت على أسس ثابتة نذكر منها ما يلى :

(١) الله واحد أم ثالوث ص ١٧ ، ١٨ .

أولاً : كان ميلاد المسيح معجزة ، فهو لم يخرج من بين أب وأم كسائر الناس ، بل من العذراء خرج ، دونما أب حتى يظل طاهرا من الخطيئة التى ورثها آدم لأبنائه جيلا بعد جيل ، فلو لم يكن إله من إله ما وقع له ذلك الميلاد المعجز الذى لم يحظ به أحد من الناس أجمعين ، وكيف يتأتى مثل هذا لواحد من البشر وهو لا يكون إلا لإله ؟

ثانياً : الباحث فى حياة المسيح على الأرض يجد أنها حياة طاهرة بريئة من الخطأ والزلل بعيدة عن الدنايا والرذائل ، وذلك لا يكون إلا لشخص إلهى ، لم يأت إلى الأرض ليعيش عليها كما يعيش سائر الناس ، بل جاء من قبل أبيه ليخلص العالم ويطهره من الخطيئة الكبرى التى دنسته أمدا طويلا من الزمان .

ثالثا : كان المسيح عالما بكل شئ علما دقيقا مفصلا ، وهذا لا يكون إلا من إله فالمسيح إذن هو الله .

رابعاً : من صفات الله أن يكون موجودا فى كل مكان ، وقد أعلن المسيح بكلمات صريحة عن وجوده في كل مكان ، وترنم داود قديما بقوله عن المسيح : أين أذهب من روحك ، ومن وجهك أين أهرب ؟ إن صعدت إلى السماوات فأنت هناك ، وإن فرشت فى الهاوية فها أنت ، إن أخذت جناحى الصبح وسكنت فى أقاصى البحار فهناك أيضا تهدينى يدك وتمسكنى يمينك . (مز ١٣٩ : ٦ -- ١٠) فهل يكون المسيح بعد ذلك إلا الله ؟

خامسا : أعلنت الأفلاك في مداراتها والنجوم في أبراجها منذ أمد طويل عن مجئ ابن الله إلى الأرض مخلّصا وفاديا ، وموته على الصليب ثم قيامته بعد دفنه وصعوده بعد ذلك وجلوسه عن يمين أبيه في السماء ، فبرج العذراء يتحدث عن ميلاد المسيح من عذراء ، برج الميزان يرينا أن البشر قد وُزِنوا بالموازين فوُجدوا ناقصين ، .. وبرج العقرب يرينا الحية القديمة التى سممت حياة الإنسان بالخطيئة ، وبرج القوس يرينا المسيح الظافر المنتصر الذى سحق رأس الحية ، بموته على الصليب كما نقرأ فى لاويين ٩ : ٣ وبرج الدلو يتحدث عن المسيح ينبوع الماء الحى كما نقرأ فى يوحنا ٤ : ١٤ و ٧ : ٣٧ – ٣٩ ورؤ ٢٢ : ١٧ ... وأخيرا برج الأسد الذى يرينا النصرة النهائية للمسيح فى نقرأ فى الكلمات هوذا قد غلب الأسد الذى من سبط يهوذا أصل داود ليفتح السطر ويفك ختومه السبع رؤ ٥ : ٥ وسيأتى اليوم القريب الذى نسمع فيه الهتاف الجميل «قد سارت ممالك العالم لربنا ومسيحه فسيملك إلى أبد الآبدين» رؤ ١١ : ١٥ وإنك لتلمح ذلك واضحا فى الآيات الأولى من سفر التكوين حيث نقول ما نصه :«وقال الله لتكن أنوار فى جلد السماء لتفصل بين النهار والليل ، وتكون الآيات وأوقات وأيام وسنين ، وتكون أنوار فى جلد السماء لتنير على الأرض وكان كذلك . فعمل الله النورين العظيمين النور الأكبر لحكم النهار ، والنور الأصغر لحكم الليل والنجوم ، وجعلها الله فى جلد السماء لتنير على الأرض ولتحكم على النهار والليل ولتفصل بين النور والظلمة » تكوين ١ : ١٤ – ١٨ فإن كلمة آيات الواردة في النص السابق قد جاءت

فى العبرية بمعنى «الآتى» وكلمة أوقات تعنى فى العبرية « أوقات معينة» .

فالنص إذن يتحدث عن شخص سيأتى فى وقت معين ، وما إن جاء حينه حتى ظهر للمجوس فى المشرق نجمة فجاءوا يبحثون عن الوليد ليسجدوا له كما أخبر بذلك متى فى إنجيله .

وترنم داود قديما بتلك النبوءات الفلكية عن نزول ابن الله ومجده إلى الأرض وتخليصه للعالم ثم عودته إلى أبيه مز ١٩ : ١ ، ٢ فإذا كانت النجوم فى بروجها والأفلاك فى مداراتها تتحدث عن المسيح وداود يترنم بذلك فى مزاميره فكيف يكون المسيح إذن مجرد إنسان ؟ إنه الله الابن المسيطر على الكون «حامل كل الأشياء بكلمة قدرته» عب ١ : ٣ على أساس إعلانات الفلك والنجوم عن المسيح آمنا بأنه الله ، إذ الفلك لم يتحدث قط بهذه الصورة الرائعة عن كائن من بنى الإنسان .

سادسا : ما امتاز به المسيح من القدرات الخارقة على فعل المعجزات التى لم يجر مثلها على يد الأنبياء من قبله يجعل كل إنسان يؤمن إيمانا عميقا بأن المسيح هو الله ، ولا يقال كان للأنبياء السابقين معجزات أجراها الله على أيديهم تصديقا لهم فى دعوى النبوة ولم يصيروا بها آلهة فما بال عيسى قد صيرته معجزاته إلهاً ؟ لا يقال هذا لأن الفرق بين معجزات الأنبياء ومعجزات عيسى كبير ، فمعجزات الأنبياء لم تأتهم بقدرتهم الشخصية وإنما أتتهم من الله .

أما عيسى فإنه لما كان إلها كانت كل معجزاته – من إسكات البحر والرياح ، إلى شفائه المرضى والعميان – نابعة من قدرته الشخصية

الإلهية لهذا قلنا إن قدرة عيسى على المعجزات هى إحدى الأسس التى يبنى عليها الإيمان بأن عيسى هو الله .

سابعاً : ما صرحت به الأناجيل من أن المسيح هو الله وهو ابن الله الحبيب ، يدل دلالة قاطعة على أنه لا فرق بين الآب والابن ، وأن المسيح هو الله لا محالة الأمر الذى يجعل الإيمان بمثل ذلك أمرا حتميا لا شك فيه .

من تلك النصوص ما جاء فى إنجيل متى عن الله من قوله «هذا ابنى الحبيب به سُررت» ٣ : ١٧

وما جاء فى إنجيل يوحنا من قوله فى وصف المسيح «فى البدء كان الكلمة ، والكلمة عند الله ، وكان الكلمة الله كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان .. والكلمة صار جسدا ، وحلَّ بيننا ورأينا مجده مجداً ١ ، ٣ ، ١٤ .

وما جاء فى يوحنا أيضا من قوله «أنا هو القيامة والحياة ، من آمن بى ولو مات فسيحيا وكل من كان حيا وآمن بى فلن يموت إلى الأبد» ١١ : ٢٥ إلى آخر ما جاء فى الأناجيل صراحة من كون المسيح هو الله وابنه الحبيب ، فكيف يحيد أحد عن الإيمان بألوهية المسيح ، ويقول بغير ذلك» (١)

---

(١) القس لبيب ميخائيل «هل المسيح هو الله» ص ٥٢ وما بعدها
وهذا خلاصة ما ذكره من الأسس التى ذكرها لإثبات ألوهية المسيح .

• الرد على هذه المزاعم الباطلة :

دأب كثير من النصارى على ترديد هذه الحجج الواهية محاولين إثبات ألوهية عيسى – عليه السلام –

ومن أكبر الحجج التى يتمسكون بها الطريقة التى خُلق بها المسيح ، والمعجزات التى أيده الله بها .

«فخلقه بدون أب ، وإحياؤه الموتى – بإذن الله – وإشفاؤه للمرضى من الأمراض المستعصية دليل على أنه يملك صفات الألوهية – فى زعمهم وكلها أقوال متهافته واهية ، والعقل والمنطق يدحض ذلك . ويرد عليه بسهولة من عدة جهات :

أولاً : إن خلق عيسى بدون أب ليس أمرا مستغرب في جانب القدرة الإلهية فقد خلق الله آدم – عليه السلام – بدون أب أو أم مما يجعل خلق آدم فى درجة أصعب حسب مقياس النصارى ، وأرقى ألوهية حسب فهمهم الخاطئ وقد خلق الله أمنا حواء بدون أم وهذه درجة أصعب وأعقد فى مقاييسنا البشرية من الخلق بدون أب .. والقرآن الكريم يذكر لنا أيضا حوار سيدنا إبراهيم – عليه السلام – مع ربه عندما أراد أن يطمئن قلبه ، فسأل إبراهيم ربه أن يريد كيف يحيى الموتى ، وقد استجاب الله لنبيه إبراهيم وأراه وعلمه كيف يحدث ذلك عندما أمره أن يأخذ أربعة من الطير ، ويصرهن إليه ويجعل على كل جبل منهن جزءا ثم

يدعوهن فيرجعن إليه جميعا أحياء (١) ويصور القرآن الكريم هذا الموقف فى قول الله تعالى « وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم أجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم» (٢)

فهل هذا الأمر يعتبر ألوهية لإبراهيم – عليه السلام – ، وهل زعم زاعم من قبل أن هذه من صفات الإله ولا يفعلها إلا إله .. فسيدنا إبراهيم على هذا المقياس – إذن – إله .

وكذا نبى الله موسى – عليه السلام – عندما أحيا الميت المقتول ليعترف على قاتله ، فهل يعتبر موسى إلها ؟؟ حاشا وكلا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، إن حكمة الله سبحانه ترينا عظيم قدرته فى تنوع خلقه مرة من لا شئ لا أب ولا أم .. أو من أب فقط دون أم .. أو من أم بلا أب .. وسائر البشر من توالد طبيعى بأب وأم .

ومن هنا فخلق عيسى ليس أمرا مستغربا أو صعبا عجيبا عند الله سبحانه وهو الذى يحيى العظام وهى رميم ، ويجعل من الشجر الأخضر نارا» (٣)

ثانياً أن هذه الأقانيم المختلفة فى عملها يؤدى إلى انقسامها وتنازعها

(١) د . طلعت غانم «أضواء على النصرانية» ص ٢٦ ، ٢٧

(٢) الآية ٢٦٠ سورة البقرة

(٣) انظر أضواء على النصرانية ٢٨

وإلى تناحرها ، وفى خضم هذا الصراع يفسد الكون ، وتفنى الموجودات، ويحل الدمار .

إن كل هيئة أو منظمة أو مؤسسة فى الوجود ليس لها سوى رئيس واحد أو قائد فالدولةرئيسها واحد والطائرة قائدها واحد ، والسفينة إذا قادها إثنان غرقت .. والوحدانية هى طبيعة النظام ، فلا يقبل العقل أن يتحكم فى الكون أكثر من قوة واحدة ، فإذا أمعنا النظر فيما يحيط بنا ولاحظنا الكائنات والموجودات المتجانسة ، وتأملنا الأرض التى نعيش فوقها وكيمية دورانها حول نفسها ، ودورانها فى نفس الوقت حول الشمس فى دقة وإحكام ، ثم تعاقب الفصول فى دورية وثبات ، وحركات الكواكب والنجوم والمجرات ، تدور فى نظام محكم حول بعضها وحول نفسها بسرعة فائقة فلا تنحرف ولا تتصادم .. إذا تأملنا بعضا من ذلك لأيقنا أن هذا الكون العظيم خاضع لمبدأ واحد سنته مدبر واحد ، فلو تعدد خالق الكون ومدبره لوجد التناقض وعدم الإتفاق ، ولحلت الفوضى محل النظام ، ولتنازع الآلهة والأقانيم ، ولفسدت الأرض والسموات ، ولهلكت الكائنات والموجودات ، ولتلاشى الكون والوجود .. »(١)

وحول هذه القضية يذكر الشيخ – رحمة الله الهندى .

أنه تنصر ثلاثة أشخاص وعلمهم أحد القسيسين العقائد الضرورية سيما عقيدة التثليث ، وكانوا فى خدمته فجاء محب من أحباء هذا القسيس

(١) محمد مرجان «الله واحد أم ثالوث» ص ٦٦ ، ٦٧

وسأله عمن تنصر ؟ فقال ثلاثة أشخاص تنصروا ، فسأل هذا المحب هل تعلموا شيئا من العقائد الضرورية ؟ فقال نعم ، وطلب واحدا منهم ليرى محبة فسأله عن عقيدة التثليث ، فقال : إنك علمتنى أن الآلهة ثلاثة ، أحدهم الذى هو فى السماء ، والثانى تولد من بطن مريم العذراء ، والثالث الذى نزل فى صورة الحمام على الإله الثانى بعد ما صار ابن ثلاثين سنة ، فغضب القسيس وطرده ، وقال : هذا مجهول ، ثم طلب الآخر منهم وسأله فقال : إنك علمتنى أن الآلهة كانوا ثلاثة وصُلب واحدٌ منهم فالباقى إلهين ، فغضب عليه القسيس أيضا وطرده ، ثم طلب الثالث وكان ذكيا بالنسبة للأولين وحريصا فى حفظ العقائد ، فسأله فقال حفظت ما علمتنى حفظا جيدا ، وفهمت فهما كاملا بفضل الرب المسيح أن الواحد ثلاثة ، والثلاثة واحد ، وطلب واحد منهم مات فمات الكل لأجل الاتحاد ، ولا إله الآن ، وإلا يلزم نفى الاتحاد .

يُعلق الشيخ – رحمه الله – عن هذه القصة بقوله :

« لا تقصير للمسئولين فإن هذه العقيدة يخبط فيها الجهلاء هكذا ، ويتحير علماؤهم ، ويعترفون بأنا نعتقد ولا نفهم ، ويعجزون عن تصويرها وبيانها »(١)

وهذه الحقيقة كما يذكر الأستاذ محمد مرجان أدركها أساقفة الثالوث أنفسهم وكبار أحبار وفلاسفة المسيحية ، فهم رغم إضطرارهم بحكم

(١) إظهار الحق ص ٢٢٧ ، ٢٢٨